الفصل الأول

اكتشاف عالم خاضع للنظام

لقد تطلّب منا الوصول إلى هذا المكان فترة طويلة - سيراً على الأقدام لتسعة أميال متسلقين طرق صخرية - لقد كان حصاني المدرب حديثاً على نقل التجهيزات لا يزال تعوزه البراعة، ارتطم بظهري ورض عقبي، وفي النهاية داس على مقدم حذائي ضاغطاً إياه بشدة. لكنها كانت نزهة تستحق ذلك.

النهر حيث أجلس واضعاً رجلي في الماء يتلألأ على امتداد أميال لا أستطيع رؤيتها، نحو عشب أخضر يلتوي بسبب الريح. توجد أشجار صنوبر وجبال وصقور وبعيداً عند الحافة البعيدة للمرج يوجد حيوان موظ يرانا ويتحرك ليخبئ محيط جسمه الواسع وراء شجرة عرضها فقط أربع بوصات. تمتد الشجرة تماماً إلى حرف كل عين. إننا نضحك لكني أظن أنه يوجد درس في ذلك بالنسبة لنا جميعاً.

طوال أشهر لا أزال أدرس بنى العملية *process structures* - وهي أشياء تُبقي على هويتها الذاتية طوال الوقت، ومع ذلك فإنها غير مثبتة على نحو صارم في شكل فيزيائي وحيد. إن هذا النهر الذي يتدفق أمامي من أجمل ما صادفته. إنها عطلة لذلك أقاوم التفكير بتعمق أكثر مما يجب بشأن هذا النهر، لكن عندما تأملت في تدفقه فإن الصور نشطت.

وأخيراً، فإنني أسأل مباشرة: ما الذي يمكن أن تعلمني إياه تلك الأنهار عن النظم؟ إنني مفتونة بهذا التنوع الذي أشاهده بهذه المجموعات المكونة من الوحل والطمي والعشب والماء والصخور. هذا النهر يمتلك قدرة مؤثرة على التكيف وعلى تغيير العشب والماء والصخور. إنه يمتلك قدرة مؤثرة على التكيف، وعلى تغيير أشكاله، وعلى أن يترك للطاقة أن تنتقل، وعلى صنع بنى جديدة. لكن وراء هذه التكيفية، هي حاجة الماء للتدفق. يستجيب الماء لجاذبية الأرض وللانحدار ولدعوة البحر. تتغير الأشكال لكن تبقى المهمة غير منقوصة. إن البنى تنبثق لكن فقط كحلول مؤقتة تقوم بالتسهيل مفضلة ذلك على التعارض. لا يوجد أي من الاعتماد الصارم الذي تعلمته في النظم على أشكال مفردة، أو على استجابات دقيقة، أو على ممارسات سابقة. تمتلك الأنهار أكثر من استجابة واحدة للصخور، وإلاّ سوف لن يوجد الوادي العظيم (وادي ضخم منحدر الجوانب يجري فيه جدول) في كل مكان. لقد أدرك نهر كولورادو أنه توجد طرق كثيرة للوصول إلى البحر مفضلاً شكله هذا على أن يبقى متمدداً واسعاً.

إن النظم تفتقر إلى هذا النوع من الثقة، بأنها تستطيع بلوغ أهدافها في طرائق متنوعة وأنها تعمل على أفضل وجه عند الهدف والرؤية. تاركة للأشكال أن تنبثق وأن تختفي. إننا نبدو منومين مغناطيسياً بوساطة البنى ونشيدها قوية ومعقدة بسبب أنها يجب، كما نعتقد، أن تكبح القوى الشريرة التي تهدد بتدميرنا. إنه عالم معادٍ خارج ذلك المكان، والنظم نشيدها بارعة وذكية بما يكفي لحماية أنفسنا من القوى الطبيعية للتدمير. إن الأنهار تمتلك علاقة مختلفة مع القوى الطبيعية. بثقة رائعة فإنها تعلم أن اشتياقها الشديد للبحر سيتم تحقيقه، وأن الطبيعة لا تبدع الطلب فقط لكن الاستجابة.

إن الكثير من النظم التي اختبرتها هي قلاع مثيرة للخشية. إن لغة الدفاع تخترقها من خلال أسرار محمية بإحكام، وملفات شخصية مقفلة، وفي نشاطات تعرف كـ «حملات»، و«مصادمات»، و«حروب»، و«معارك»، وعبارات

موجودة في كل مكان وكل وقت (على سبيل الهزل) تصف كل شيء بلغة الإساءة والدفاع. إن نظم كثيرة تشعر بأنه يجب عليها أن تحمي نفسها حتى ضد مستخدميها، بقوانين، وخطوط هادية، وساعات دوام، وسياسات، وإجراءات لكل احتمال. أحد النظم التي أقحمت فيها رحبت بمستخدميها الجدد بقائمة من (27) إساءة يمكن أن يفصلوا لأجلها من الخدمة بغير إبطاء - وتوكيد بأنهم يمكن أن يفصلوا من الخدمة لأسباب أخرى أيضاً. بعض النظم تشتمل على قيود صارمة من الأوامر لمنع الأشخاص من إفشاء سر لأي شخص خارج قسمهم وفي معظم الشركات تحدد بروتوكولات من يمكن استشارته أو نصحه أو انتقاده. إننا خائفون مما سوف يحدث إذا تركنا عوامل النظام تتحد من جديد أو تترتب من جديد أو يتكلم الواحد للآخر بشكل صادق. إننا خائفون من أن الأشياء ستنقسم بعضها عن بعض.

هذه الحاجة لتوحيد العالم وتجارب الرعب والهشاشة، جعلتني أتساءل عن هذه الظاهرة لفترة طويلة قبل أن ألتقي هذا النهر .إن الخوف الموجود في كل مكان يجب أن يأتي إلينا من مكان ما. لكن من أين؟ في الفكر الغربي الحديث أعتقد أن هناك مصدراً واحداً لفهمنا غير الواضح للمفاهيم التي اكتسبت قوة من علم القرن السابع عشر. منذ ثلاثة قرون عندما كان تصوِّر العالم كآلة متقنة أُدخلت في الحركة بفعل إله - نظام مغلق بوساطة مبتكر ساعاتي غادر بعدئذ الورشة - فإن مفهوم الأنتروبيا(*) قد دخل وعينا الجماعي. إن الآلات تبلى، وفي آخر الأمر تتوقف. وفي تعبير الشاعر ياتس «الأشياء تنقسم إلى أجزاء ... المركز لا يستطيع الصمود ... ومجرد فوضى تطلق على العالم».

(*) الأنتروبيا *entropy*: خاصية للنظام تتغير عندما يمر النظام بتغير عكوس، وتكون كمية التغير مساوية للطاقة التي امتصها النظام مقسومة على درجة الحرارة الديناميكية الحرارية. والأنتروبيا خاصية ديناميكية حرارية تعتمد، مثل غيرها من الخواص، على حالة النظام، وليس على المسار الذي انتهجه هذا النظام للوصول إلى هذه الحالة. من ناحية أخرى تعد الأنتروبيا مقياس تقاس به لاإتاحية *Unavailability* الطاقة في مجموعة ديناميكية حرارية أو مجموعة طاقة حرارية.

نشعر بأن هذا الكون لا يمكن الوثوق بعملياته الخاصة فيما يتعلق بالتطور والتجديد، إذا كنا نريد تقدماً آنئذ يجب أن نعمل بنشاط لعكس الخراب. نعمل بالقوة المجردة للإرادة، بسبب أننا عقل الأرض، فإننا سنجعل العالم ينجح. إننا سنقاوم الموت.

أي وضع مخيف هذا. فقط لنتخيل جباراً ما، إنه الوقت لينزل الآن. إنه الوقت لينزع العالم عن أكتافنا وليضعه من أجل طريقة أسهل. إنها ليست فقط الأنهار التي تمتلك شيئاً ما تعلمناه. إن الدروس هي في كل مكان. لكن السؤال ما هو المفتاح؟ إن لم يكن معنا آنئذ أين سنجد مصادر الترتيب؟

أعتقد أن الطبيعة تقدم عروضاً وافرة للترتيب ودروساً واضحة فيما يتعلق بطريقة بلوغه. رغم تجربة التقلبات والتغييرات التي توقع الفوضى في خططنا فإن العالم خاضع لنظام بشكل متأصل. إنه يواصل إبداع نظم ذات تنوع وطاقة ذات مدى واسع. والتقلبات والتغير هما أساسيان للعملية التي يخلق بوساطتها الترتيب.

الحياة هي شأن الخلق. إن قدرة الحياة على خلق نفسها لُخِّص في كلمة جديدة تبدو غريبة وهي التكون الذاتي *autopoiesis* (من اليونانية وتعني الإنتاج الذاتي). إن التكون الذاتي هو شبكة من العمليات تكون فيها كل عملية مساهمة في كل العمليات الأخرى. إن الشبكة الكاملة منهمكة معاً في صنع نفسها (*Capra* 1996، 99). هذه العملية غير مقصورة على نوع واحد من الكائنات الحية - إنها تصور الحياة نفسها. كما وصف من قبل عالم النظم إيريش جانتش فإن أي نظام حي هو ليس بنية هاجعة مطلقاً بقدر ما يبحث باستمرار عن تجديد الذات الخاصة به (1980، 10). من هذا التغيير نجد أن النظام الحي يصنع نفسه، إنه سوف يتغير لكي يصون تلك النفس (أو الذات)، إن التغيير يُحثّ فقط عندما يقرر الكائن الحي أن التغيير هو الطريقة الوحيدة للحفاظ على نفسه.

يوجد تناقض ظاهري آخر مهم في النظم الحية: كل كائن حي يُبقي على إدراك واضح للهوية الذاتية الفردية داخل شبكة أكبر من العلاقات التي تساعد

في تحديد هويته الذاتية. إن كل كائن هو قابل لأن يُرى ككينونة منفصلة ومع ذلك فإنه بشكل متزامن يكون جزءاً من نظام كامل. في حين أننا البشر نلاحظ ونأخذ بعين الاعتبار الذوات المنفصلة ونعطي مقداراً كبيراً من الاهتمام للاختلافات التي يبدو أنها تفرقنا عن بعضنا، فإننا في الحقيقة نبقى أحياءً فقط بسبب أننا نعلم كيف نشارك في شبكة العلاقات. إن التكون الذاتي يصور لنا كوناً مختلفاً جداً، كون كل الكائنات الحية فيه قادرة على خلق «ذات» من خلال ارتباطها الحميم مع كل الآخرين في نظامها. هذا ليس عالماً هشاً يحتاج إلينا لجعله يتماسك. إن هذا عالمٌ غني بالعمليات التي تدعم التطور والالتحام من خلال تناقضات ظاهرية نحتاج لأن نفكر فيها ملياً.

في الكيمياء، يعلمنا عمل إليا بريغوغين *Prigogine* أيضاً حقيقة ذات تناقض ظاهري، وهي أن الفوضى يمكن أن تكون مصدراً لترتيب جديد. لقد صاغ بريغوغين مصطلح «البنى التشتتية» *dissipative structures* لهذه النظم المكتشفة مؤخراً لوصف طبيعتها المتناقضة. إن التشتت يصور الفقدان وهو عملية انحطاط الطاقة تدريجياً باستمرار في حين تصف البنى الترتيب المتضمن. اكتشف بريغوغين أن النشاط التشتتي المتعلق بالفقدان كان ضرورياً لخلق ترتيب جديد. إن التشتت لا يقود إلى موت النظام. لقد كان جزءاً من عملية يستطيع بواسطتها النظام أن يُطلق سراحه من شكله الحالي بحيث يمكن أن ينتظم من جديد في شكل ملائم على نحو أفضل لمطالب بيئته المتغيرة.

لقد ساعد عمل بريغوغين في شرح تناقض دائم في العلم الغربي. إذا كانت الأنتروبيا هي القاعدة كما اعتقد العلم آنئذ فلماذا تزدهر الحياة؟ لماذا تؤدي الحياة إلى حالة جديدة وتطور وليس إلى تدهور وانحلال؟

في بنية تشتتية فإن أي شيء يشوش النظام يلعب دوراً حاسماً في مساعدته على أن ينتظم ذاتياً في شكل جديد من الترتيب. كلما قدمت البيئة معلومات جديدة ومختلفة، فإن النظام يقدر ما إذا كان سيقبل ذلك التحريض ويستجيب له. هذه المعلومات الجديدة يمكن أن تكون مختلفة فقط قليلاً عن المعيار. لكن

إذا انتبه النظام إلى هذه المعلومات فإنه يقوم بإحضار المعلومات نحو الداخل وما إن تصبح داخل الشبكة فإن المعلومات تقوى وتتغير. إذا أصبحت المعلومات اضطراباً كبيراً بحيث لا يستطيع النظام رفضها لفترة أطول آنئذ فإن تغييراً حقيقياً يكون على وشك الحدوث. عند هذه المرحلة في تطور الأحداث فإن النظام المضايق باضطراب داخلي إلى حد بعيد جداً والبعيد عن التوازن، سينقسم إلى أجزاء. في شكله الحالي لا يستطيع التعامل مع الاضطراب وبالتالي فإنه يتبدد. لكن هذا التفسخ ليس إشارة إلى موت النظام. إذا كان النظام الحي يستطيع الحفاظ على هويته الذاتية فإنه يستطيع أن ينتظم ذاتياً في مستوى أعلى من التعقيد، أي شكل جديد يتّخذ لنفسه يستطيع التعامل على نحو أفضل مع الحاضر.

بهذه الطريقة فإن البنى التشتتية تظهر بوضوح أن الاضطراب يمكن أن يكون مصدراً لترتيب جديد، وأن التطور يمكن أن ينتج من فقدان التوازن وليس التوازن. إن الأشياء التي نخشاها إلى أبعد حد في النظم - التمزقات، الفوضى، الشواش - تحتاج ألا تفسر كإشارات على أننا على وشك أن نُدمر. بدلاً من ذلك فإن هذه الشروط ضرورية لتنبيه القدرة على الخلق. إن العلماء في هذا العالم المفهوم بطريقة جديدة يصفون علاقة الفوضى بالترتيب كـ«ترتيب بدافع الفوضى» أو «الترتيب من خلال التقلب» (*Prigogine* و*Stengers*، 1984) إن هذه المبادئ الجديدة تلقي ضوءاً قوياً على القوى المحركة بين الفوضى والقدرة على الخلق، بين التمزق والتطور.

عند مستوى الكم تزداد المفارقات كذلك على نطاق أوسع. عند المستوى دون الذري كان التغيير يحدث في قفزات، دون إمكانية التنبؤ الدقيق. يتكلم فيزيائيو الكم بلغة الاحتمالات وليس التنبؤ. إنهم يستطيعون حساب كمية الحركة وموضع قفزة الكم، لكن على نحو غير دقيق. إن الفيزياء النيوتونية تعمل باعتقاد مختلف؛ حيث إن العالم يتصرف بطرائق حتمية *deterministic ways* (هذا الافتراض تم تحديه بوساطة عمل بريغوغين الحديث؛ انظر 1998).

عالم الكم يتحدى أيضاً الاعتقادات بشأن القياس الموضوعي Objective

لأنه في المستوى دون الذري فإن المراقب لا يمكنه مراقبة أي شيء من دون تدخل، أو بدقة أكثر المشاركة في إحداثه. إن الخواص الغريبة لعالم الكم قد زعزعت اعتقاداتنا العلمية السائدة في الحتمية *determinism*، وقابلية التنبؤ والسيطرة. إذن عند النظرة الأولى لا يبدو أن فيزياء الكم تقدم تلقائياً مفاهيم تساعدنا في بحثنا عن كون منتظم أكثر. إنما التصرفات الملاحظة هي نتيجة لحالة ارتباط كمومي متبادل ولمويجات خاطفة تصبح قابلة لأن تلاحظ ضمن نسيج من دون درزات. يوجد ترتيب إلى حد بعيد جداً بحيث إن محاولاتنا لفصل الأحداث المتميزة تخلق مظهر الاضطراب.

لقد وجد الترتيب حتى في الحادثة التي كانت تعني تاريخياً الاضطراب المطلق - وهي الفوضى. إن نظرية الشواش قدمت لنا تصاوير لـ«جاذبات غريبة» *strange attractors* - صور مولدة بالحاسوب لحركة دوامية ترسم تطور نظام. يحدد كنظام فوضوي عندما يصبح من المتعذر معرفة ما الذي سيقوم به في المرة التالية. إن النظام لا يتصرف أبداً بالطريقة نفسها مرتين. لكن كما توضح نظرية الفوضى إذا نظرنا إلى نظام كهذا طوال الوقت فإنه يظهر ترتيباً متأصلاً. إن تدويماته الجامحة تبقى ضمن حد خفي. إن النظام يحتفظ بالترتيب داخله ويظهر هذه الصور الذاتية كشكل جميل - جاذباته الغريبة (راجع قسم الصور الملونة والصفحة 135).

إذن، في كل مكان من الكون يوجد الترتيب ضمن الفوضى والفوضى ضمن الترتيب. لقد اعتبرنا دائماً أن الفوضى كانت غياب الحالة الطبيعية من الترتيب والذي يدرك في الكلمة نفسها (اللانظام أو الفوضى *dis-order*). لكن هل نحن نؤمن بهذا؟ هل الفوضى شذوذية، أو هل الترتيب هو مجرد فترة سعيدة منتزعة من الفوضى الطبيعية؟

لقد تعلمنا أن نفهم الأشياء كحالات منفصلة ! واحدة من الضروري أن تكون قياسية وأخرى استثنائية. ومع ذلك عندما ننتقل إلى هذه المنطقة الجديدة حيث التناقض الظاهري هو ميزة بارزة. نستطيع إدراك أن ما يحدث هو رقص -

للفوضى والترتيب، للتغير والثبات. تماماً كما في الصورة الخالدة (لليانغ والين) فإننا نتعامل مع متتامات. لا أحد يكون رئيسياً: كلاهما ضرورة على نحو مطلق. عندما نلاحظ تطوراً فإننا نلاحظ نتائج الرقص.

أشار أحد علماء النظم إلى أن نظام ما هو مجموعة من عمليات تُجعل مرئية في بنى مؤقتة. هذه البنى الحية هي من جميع النواحي ليست مشابهة للبنى الجامدة التي نشيدها. إن بنى الحياة عابرة لأن لها قدرة على التغير إذا احتيج إليه: فاليسروع (يرقانة الفراشة) والفراشة مثلاً هما بنيتان مستقرتان إلى حين، في التطور المتماسك للنظام نفسه تماماً (*Jantsch* 1980، 6). يواصل النظام التطور ليحرر نفسه من القديم ولإيجاد بنى جديدة كما هو مطلوب.

بينما كنا نتوق بشدة للترتيب في النظم فإننا عجزنا عن إدراك أين نجده. لقد رأينا الترتيب المنعكس في البنى التي شيدناها سواءً كانت مباني من الزجاج المرآتي الساطع، أم خرائط رائعة، أم تصاميم بدأت على مناديل ورقية. هذه البنى تطلّبت وقتاً كثيراً جداً وقدرة على الإبداع واهتماماً بقدر ما كان صعباً لا نريدها أن تكون دائمة. من الصعب الترحيب بالفوضى كشريك كامل في البحث عن الترتيب عندما أنفقنا جهداً كبيراً جداً لاعتراضها من الأبواب. لقد وجدت نفسي في تحدٍّ مع هذه الدنيا الجديدة من حيث الشكل المتطور، والبنى التي تأتي وتذهب، والاتجاهات المكتسبة ليس من النتاجات الصنعية الصارمة لخرائط نظام ورسوم عمل، لكن من توجيهات تظهر إلى الوجود من العمليات الطبيعية المعقدة للتطور وتجديد الذات. إن هذه الدنيا ليس من السهل الإقامة فيها، وليس عالماً من السهل أن نضع فيه ثقتنا، إلاّ أننا نعيش سابقاً مع البيئة التي تدعمها - هذا الكوكب الأرضي المتسم بالإبداع والتنوع بشكل عجيب. وجميعنا حتى في النظم الصارمة، جربنا التنظيم الذاتي، في أوقات عندما نصنع أنفسنا من جديد ليس وفقاً لخطة ما ذات صفات مثالية لكن بسبب أن البيئة تقتضي ذلك. إنه يطلق سراحنا من الشكل القديم ونكتشف كيف ننظم أنفسنا على أفضل وجه في طرائق جديدة.

عندما أفكر بشأن تجارب العمل التي أتعلق بها إلى أبعد حد، فإنني أرى هذا التنظيم الذاتي. في الاهتمام بجعل الأشياء تنجز، فإن أدوارنا ومهماتنا بدأت العمل بسرعة كبيرة إلى حد أنها أصبحت غير واضحة على الإطلاق. لقد كنا منهمكين في العمل أكثر مما ينبغي لنقلق بشأن تحديد المسؤولية أو الأدوار. إننا جميعاً شعرنا بأننا مسؤولون عن اكتشاف ما نجح وتنفيذه بسرعة. عندما يتكلم الأشخاص عن فن قيادة غير رسمي فإنهم يصفون تجربة مماثلة - كيف يبدع الأشخاص فن قيادة يستجيب على أحسن وجه لاحتياجاتهم في الوقت المحدد. وقد لا نقوم باحترام هؤلاء المدراء على نحو رسمي أكثر والواقعيين مثلنا نحن في شرك معتقداتنا بشأن التسلسل الهرمي والسلطة، لكننا دائماً نعرف من يكون المدير الحقيقي ولماذا نحن راغبون في اتباعه. فن ماكس دي بيير و هيرمان ميلر يدعى بـ «فن القيادة المتجول، الأشخاص الذين لا غنى عنهم في حياتنا والذين يوجدون هناك عندما نحتاجهم» (1989، 41-42). إنهم ينبثون من الجماعة، ليس بوساطة توكيد ما تحتاجه المجموعة والأفراد، بحيث يستطيعون البقاء على قيد الحياة والنمو. إن خبير النظام كيل جانوف يصرح أن فن القيادة من الأفضل عده كتصرف - ليس كوظيفة. إننا دائماً نحتاج إلى قادة لكن هذه الحاجة يمكن إشباعها بوساطة أشخاص مختلفين كثيرين، بالاعتماد على المحيط (*Janov* 1994).

طوال هذا الوقت فإننا صنعنا الاضطراب لأنفسنا في النظم بالخلط بين السيطرة والترتيب. إن هذا ليس مفاجئاً بالنظر إلى أنه فيما يتعلق بمعظم تاريخه المكتوب فإن فن القيادة لا يزال يعرف بلغة وظائف السيطرة فيه. تكلم لينين إلى قادة كثيرين عندما أشار إلى أن: الحرية جيدة لكن السيطرة أفضل. وإن بحثنا عن السيطرة كان هداماً مثلها هي.

إذا كان الأشخاص آلات فإن البحث عن السيطرة يكون مفهوماً. لكن إذا كنا نعيش مع القوى الناشئة نفسها ضمن كل الكائنات الحية الأخرى، آنئذ فإن السعي إلى فرض السيطرة من خلال بنى صارمة يكون انتحاراً. إذا كنا

نعتقد أنه لا يوجد ترتيب بمصاحبة النشاط البشري باستثناء ذاك الذي يفرضه القائد، وأنه لا يوجد تنظيم ذاتي باستثناء ما تمليه السياسات، وإذا كنا نعتقد أن القادة المسؤولين يجب أن يكون لهم أدوار في كل شيء، يسيطرون على كل قرار وشخص ولحظة، آنئذ لا يمكننا أن نرجو أي شيء باستثناء ما نمتلكه مسبقاً - وهو الروتين المضجر من المساعي المسعورة التي تنتهي بالقضاء على حيويتنا الفردية والجماعية.

لكن ماذا لو استطعنا أن نكيف البحث من جديد؟ ماذا لو أوقفنا البحث عن التحكم وبدأنا بشكل جدي البحث عن الترتيب؟ إن الترتيب سيوجد في أمكنة لم ننوِ أبداً أن نفحصها من قبل - في مكان قريب منا تماماً، في النظم الفعّالة الحية، في الطبيعة. في الواقع ما إن نبدأ النظر إلى الطبيعة بعيون جديدة سنجد المعلمين في كل مكان.

لقد نظرت من جديد إلى حيوان الموظ محدقة بتركيز في العرض الضيق للشجرة. إن بحثنا عن الأمن واعتقادنا بأننا نستطيع السيطرة على نظمنا بالبنى التي نفرضها ليس أقل حماقة. ما دمنا نحدق بعيون حولاء في تلك الشجرة، فإننا لا نستطيع أن نرى في مكان قريب منا تماماً العمليات المتأصلة في النظم الحية التي توجد هناك لتساعد في إبداع الترتيب الذي نحتاج إليه حاجة ماسة.

ومع ذلك من الصعب الرحيل بعيداً عن تلك الشجرة. من الصعب فتح أنفسنا على عالم من النظام المتأصل. «في الحياة فإن المسألة ليست هي السيطرة، لكن الترابط الفعال»، كتب جانتش (1980، 196). أريد أن أعمل من تلك المعرفة أريد أن أثق في هذا الكون كثيراً جداً بحيث أسلم لإله يعمل بغير انقطاع. أريد إيقاف الكفاح لجعل الأشياء تتماسك. إنني أريد تجريب أمن كهذا بحيث إن مفهوم «التسليم» - الثقة بأن الأشكال الملائمة سوف تظهر - سيتوقف عن أن يكون مروِّعاً. إنني أريد أن أتنازل عن خوفي من الكون وأتحد مع كل شخص أعرفه في نظام ينفتح تلقائياً لبيئته. مشاركاً بشكل جميل في رقصة الترتيب المتجلي للعيان.

لأن التشظي في الوقت الحاضر واسع الانتشار جداً - ليس فقط في كل مكان من المجتمع لكن في كل فرد وأن هذا يقود إلى نوع من الارتباك العام للعقل والذي يخلق سلسلة لانهاية لها من المشاكل ويتعارض مع وضوح إدراكنا الحسي على نحو خطير جداً فيما يتعلق بمنعنا من أن نكون قادرين على حل معظمها... إن نظرية أن كل هذه الأجزاء موجودة بشكل منفصل هي بوضوح وهم وهذا الوهم لا يمكنه إنجاز أكثر من أن يقود إلى خلاف وارتباك لا نهاية لهما.

- ديفيد بوم *(David Bohm)*